التَّارِيخُ: 31.12.2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

اَلْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ.

فَلنَقُمْ بِمُحَاسَبَةِ مَاضِينَا وَلنُحَدِّدَ مَسَارَ مُسْتَقْبَلِنا

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

ذَاتَ مَرَّةٍ خَاطَبَ ثَانِي خُلَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ الفَارُوقُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: **"حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا".**[1]

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الأَعِزَّاءُ!

إِنَّ الوَقْتَ يَمُرُّ بِسُرْعَةٍ. فَالسَّنَواتُ كَأَنَّهَا أَشْهُرٌ، والأَشْهُرُ كَأَنَّهَا أَيَّامٌ. وَأَعْمَارُنا تَنْفَدُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ. وَأَنْفَاسُنا المَعْدُودَةُ تَكَادُ تَنْتَهي. وَهَا نَحْنُ مَرَّةً أُخْرَى نَتْرُكُ وَرَاءَنَا سَنَةً مِيلادِيَّةً بِحَلاوَتِها وَمَرارَتِها، بِحُزْنِها وَفَرَحِها. فَلنَقُمْ فِي هَذَا اليَوْمِ الفُضَيْلِ يَوْمَ الجُمُعَةِ المُبَارَكِ اَلَّذِي تُجَابُ فِيهِ الدَّعَوَاتُ بِمُواجَهَةِ أَنْفُسِنا. وَلنَقُمْ بِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِنا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَعَلْنَاهُ وَكُلِّ عَمَلٍ قُمْنَا بِهِ. فَلْنَحَاسِبْ أَنْفُسَنا قَبْلَ أَنْ نُحَاسَبَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الأَفَاضِلُ!

إِنَّ جَوْهَرَ المُحاسَبَةِ هُوَ مَعْرِفَةُ الذّاتِ. والنَّظَرُ فِي مِرْآةِ الحَقِيقَةِ والْعَوْدَةِ إِلَى الرُّشْدِ. والتَّفَكُّرُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْنَا، وَلِمَاذَا أَتَيْنَا، وَإِلَى أَيْنَ سَنَذْهَبُ.

وَأَصْلُ المُحَاسَبَةِ هُوَ وَضْعُ حَدٍّ لِجَمِيعِ الرَّغَبَاتِ النَفْسَانِيَّةِ وَالْشَهْوانِيَّةِ. وَتَرْكُ الْعَادَاتِ والتَّصَرُّفَاتِ السَّيِّئَةِ. والتَّوْبَةُ عَنْ كُلِّ الذُّنُوبِ، وَالتَّعَهُّدُ بِعَدَمِ ارْتِكابِ الذُّنوبِ مَرَّةً أُخْرَى.

وَالمُحَاسَبَةُ هِيَ السَّعْيُ لِإِيصَالِ إِيمَانِنَا لِلْكَمَالِ والْمُحَافَظَةُ عَلَى اسْتِقَامَتِنَا. والتَّمَسُّكُ بِالْأَفْعَالِ والْأَقْوَالِ اَلَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا. وَتَرْكُ المُحَرَّمَاتِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا. والتَّمَسُّكُ بِالْعِباداتِ وَعَدَمُ تَرْكِها حَتَّى النَّفَسِ الأَخِيرِ. والْعَزْمُ عَلَى الْإِقْتِدَاءِ بِأَخْلَاقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبَ الخُلُقِ العَظِيمِ.

وَأَخِيرًا فَإِنَّ المُحَاسَبَةَ هِيَ أَنْ تَكُونَ عَبْدًا لِلهِ بِكُلِّيَّةٍ، والِالْتِزَامُ بِرِعَايَةِ حُقُوقِ العِبَادِ بِكُلِّ حِرْصٍ. وَأَنْ تَبْقَى فِي قَلْبِكَ حُبَّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَنْزِعَ مِنْهُ مَا سِوَى ذَلِكَ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الأَفَاضِلُ!

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ."**[2] وَفِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ يَدْعُونَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُحاسَبَةِ أَنْفُسِنا كَشَرْطٍ لِتَمامِ الْإِيمَانِ. والتَّخْطِيطُ لِلْمُسْتَقْبَلِ بِمَا يَتَوافَقَ مَعَ الغايَةِ مِنْ خَلْقِنا.

لِذَلِكَ دَعَونا فِي هَذَا اليَوْمِ الأَخِيرِ مِنْ السَّنَةِ المِيلَادِيَّةِ وَمِن أَجْلِ مُحاسَبَةِ مَاضِينَا وَتَحْدِيدِ مَسَارِ مُسْتَقْبَلِنا أَنْ نَسْأَلَ أَنْفُسَنا هَذِهِ الأَسْئِلَةَ: هَلْ اسْتَطَعْنا أَنْ نَبْقَى صَادِقِينَ لِعَهْدِ العُبودِيَّةِ اَلَّذِي قَطَعْناهُ لِرَبِّنا جَلَّ وَعَلا فِي رَدٍّ عَلَى سُؤالِهِ "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ"؟ وَهَلْ اسْتَطَعْنا أَنْ نَعيشَ حَياتَنا بِالْإِيمَانِ والْعِبادَةِ وَالأَخْلَاقِ الحَمِيدَةِ؟ وَهَلْ اسْتَطَعْنا الِابْتِعادَ عَنْ كُلِّ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى؟ وَهَلْ اسْتَطَعْنا الْإِيفَاءَ بِمَسْؤولِيّاتِنا تُجَاهَ جَمِيعِ الكَائِنَاتِ اَلْحَيَّةِ وَغَيْرِ الحَيَّةِ؟ وَحاصِلُ الكَلامِ هَلْ عَرَفْنَا قِيمَةَ كُلِّ عَامٍ وَكُلِّ شَهْرٍ وَكُلِّ يَوْمٍ وَحَتَّى كُلِّ سَاعَةٍ عِشْنَاهَا؟

وأَخْتِمُ خُطْبَتِي بِالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ: **اَلْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ.**[3]

---

[1] سُنَنُ التِّرْمِذِيُّ، كِتَابُ صِفَةِ القِيَامَةِ، 25.

[2] سُورَةُ الْحَشْرِ، 18/59.

[3] سُنَنُ التِّرْمِذِيُّ، كِتَابُ صِفَةِ القِيَامَةِ، 25.

اَلْمُدِيرِيَّةُ العَامَّةُ لِلْخَدَمَاتِ الدِّينِيَّةِ